



أبو حنيفة النعمان والكَيّال

المشهد الأول

«حجرة بمنزل أبي حنيفة النعمان، وبها أبو حنيفة وبين يديه (أبو يوسف) يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن الحسن، يتلقيان عنه العلم على ضوء مصباح».

محمد: قد اختلفت يا أبا حنيفة وأخي يعقوب في مسألة شرعية، ولولا تلك المسألة لما جئنا إليك في هذا الوقت من الليل، فلتعذرنا يرحمك الله!

أبو حنيفة: ما كان لي أن أرفض عذر شابين نشأ في طاعة الله، والسعي في طلب العلم.. قد قبلت عذركما.. فما المسألة؟

يعقوب: سترة المصلي!

أبو حنيفة: حباً وكرامة، أقول بعد بسم الله والصلاة على رسوله الأمين: إن سترة المصلي واجبة، كي لا يقطع الشيطان على المصلي عمله..

محمد: فما مقدار تلك السترة؟

أبو حنيفة: إما أن تكون السترة جداراً، أو أسطوانة، أو حجراً كبيراً، أو رحلاً أو عصاً مغروزة ترتفع بمقدار مؤخرة الرجل.

(محمد ويعقوب يدونان قول أبي حنيفة)

أبو حنيفة مستطرداً: والدليل على ذلك ما رواه

سهل بن أبي حنيفة عن النبي ﷺ بقوله:

« إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدُنْ

منها، لا يقطع الشيطان عليه صلاته »^(١).

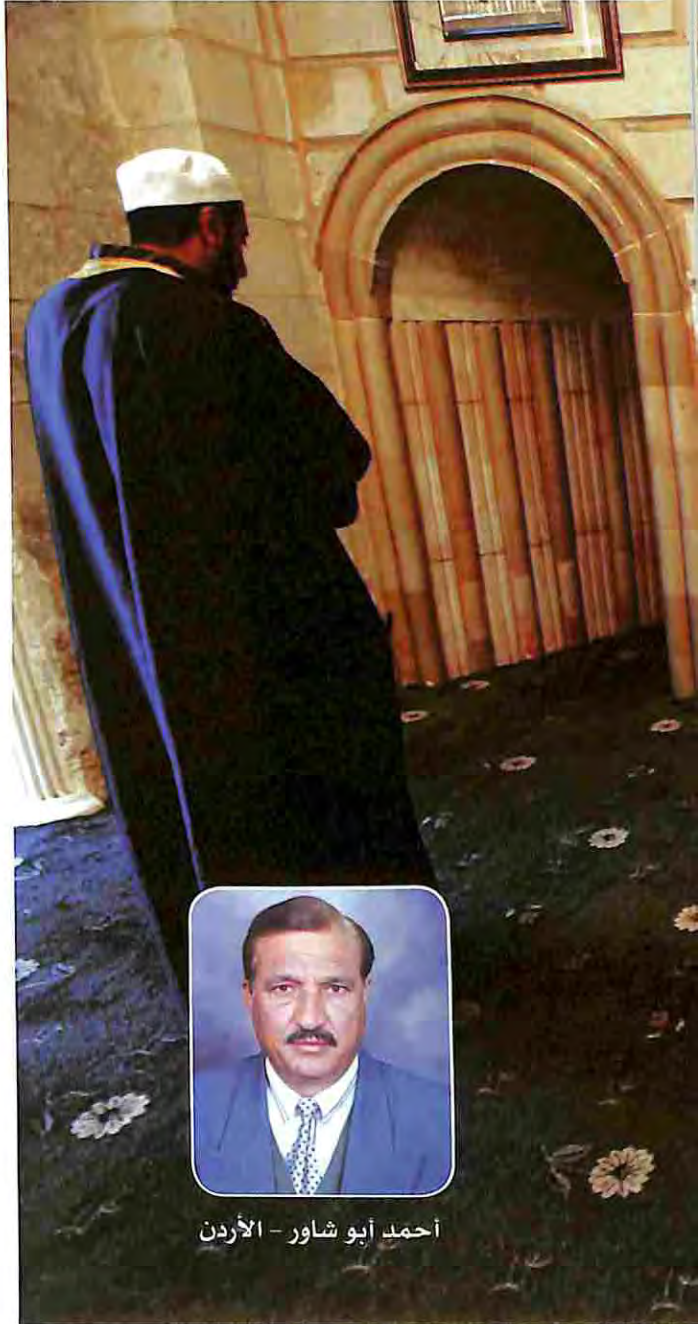
يعقوب: فما حرمة المرور بين يدي المصلي؟

أبو حنيفة: لاشك في أنه آثم إثماً كبيراً، والدليل

على ذلك قول النبي ﷺ: « لو يعلم المار بين

يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين

خيراً له من أن يمر بين يديه »^(٢).



أحمد أبو شاور - الأردن

محمد: فما حكم من مر من وراء السترة؟

أبو حنيفة: لا إثم عليه. والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فليصل ولا يبال بمن مر وراء ذلك»^(٢).

يعقوب: ماذا لو مر أحدهم بين المصلي وسترته؟ أيدفعه؟ أم يتركه وشأنه؟

أبو حنيفة: بل يدرؤه يا يعقوب، يدرؤه ما استطاع، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه وليدراه عنه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»^(٣).

محمد: فما حكم من يمر من أمام الصفوف في صلاة الجماعة؟

أبو حنيفة: لا إثم عليه يا محمد، لأن الإمام سترة للمؤمنين والدليل عليه في قول ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «أقبلت راكبا على أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى فمررت بين يدي الصف، فنزلت، فأرسلت الأتان ترتع ودخلت إلى الصف، فلم ينكر ذلك علي أحد»^(٤).

«يقتحم أسماعهم في هذه الأثناء صوت عال مجلجل»

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر محمد ويعقوب يتبادلان نظرات الدهشة والاستغراب لما سمعا

يعقوب مستوضحا بدهشة: أهو ابنك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: بل جاري يا يعقوب!

محمد: أهو مجنون؟

أبو حنيفة: بل مسكين، يتصرف كالمجنون في بعض الليالي.

يرتفع الصوت ثانية بـ:

مدامي ما تبقى من خماري بأطراف القنا والخيل تجري يعقوب: يخيل إلي أنه ثمل..

أبو حنيفة: لم أشهد عليه شيئا من هذا..

محمد: أله صنعة يكسب منها قوته؟

أبو حنيفة: أجل! إنه كيال، يكيل الحبوب بالصاع لدى

بعض تجار بغداد..

يعقوب: ألا تسمعان ما أسمع؟! إنه يبكي وينتحب..

أبو حنيفة: بلى، وتلك عادته في معظم الليالي..

محمد: أوتسكت عنه يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: قد وعظته مرارا فلم يتعظ..

يعقوب: لو كنت مكانك ما سكت عنه..

أبو حنيفة: لو كنت مكانك لوجب عليك أن تسكت عنه، وتتجاوز عن فعلته، حفظا لحق من حقوق الجوار..

محمد: أو يسكت عالم مثلك عن أهوج يسلب النوم من عينيه بصراخه وعويله؟

أبو حنيفة: أجل يا محمد.. أين هذا المسكين مما كان يفعله اليهودي بالنبي محمد ﷺ.. أين صراخه من تلك الأشواك والقاذورات التي كان يضعها اليهودي في طريق النبي؟!

يعقوب: لكن جارك يا أبا حنيفة لم يتعظ ولم يبق أمامك من سبيل إلا أن تشكوه إلي النائب..

محمد: ما أظن النائب بالذي يرد لك طلبا..

أبو حنيفة: أو تريدني أن أطرق باب النائب يا محمد؟

«يصمت هنيهة ثم يستطرد بعد تنهيدة عميقة»
ماطرقت باب النائب لخير نفسي يا محمد.. فكيف أطرقه لشر غيري... لا والذي رفع السماء وبسط الأرض ما أشكوه لأحد غير الله..

«محمد ويعقوب يتبادلان النظرات، ثم يتهيان للخروج»

أبو حنيفة: هل دونتما عني حكم مسألة السترة؟
محمد ويعقوب معا: أجل، ونسأل الله لك العفو والعافية.. وحسن الثواب..

أبو حنيفة: الفضل والمنة لله..

محمد: نستودعك الله يا أبا حنيفة فقد نفعتنا بعلمك أبو حنيفة: أستودعكما الله..

«يخرج محمد ويعقوب ويودعهما أبو حنيفة عند الباب.. فيما ينفجر صوت الكيال ثانية بـ:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر



المشهد الثاني

(يعقوب ومحمد في طريقهما إلى ذويهما)
يعقوب: مارأيت في حياتي من يتسامح مع جاره المسيء كتسامح أبي حنيفة مع جاره!
محمد: إنها أخلاق العلماء الريانيين يا أخي..
يعقوب: أجل يا محمد.. لقد تأدب هؤلاء بآداب الرسول الكريم ﷺ، واتبعوا سنته في كل صغيرة وكبيرة..

محمد: الحمد لله الذي جمعنا بأبي حنيفة.. لن أترك مجلسه ما حييت..

يعقوب: ما رأيت أو سمعت ببغداد من هو أعلم منه..
محمد: إنه عالم فذ، ما يصدر حكماً إلا ويسوق الدليل الشرعي عليه..

يعقوب: بل ويسوق سند الحديث..

محمد: ليته تسلم القضاء في بغداد..

يعقوب: إياك.. ثم إياك أن تقول هذا في مجلسه، فإنه سيفضبك منك.

محمد: لكنه أكفأ العلماء لهذا المنصب..

يعقوب: هو يعرف تلك الحقيقة بنفسه، لكنه يرفض القضاء كي لا يكون كأحد من القاضيين الذين تحدث عنهما الرسول الكريم ﷺ بقوله^(١): «قاض في الجنة وقاضيان في النار».

محمد: ليتني أرهد في الدنيا كزهد..

المشهد الثالث

منزل أبي حنيفة النعمان، وفيه أبو حنيفة يدون بعض المسائل الشرعية على ضوء مصباح..
يتنصت بين الحين والآخر، فلا يسمع صوت جاره الكيال، فتتملكه الدهشة والاستغراب، فيقول في نفسه (بصوت مسموع)

أبو حنيفة: لعله مريض.. أو أنهكه التعب فبات عند أحد التجار.. لكنه لم يفعل هذا من قبل.. ولم أسمع



صوته منذ ليلتين..

(ينهض أبو حنيفة من مكانه، وتبدو عليه ملامح الحيرة والقلق على جاره الكيال، ثم لا يلبث أن ينادي بصوته على ولده: حماد، حماد..)

يخرج إليه حماد قائلاً: السمع والطاعة يا أبي..

أبو حنيفة: ما خبر جارنا يا ولدي؟ لم أسمع صوته منذ مدة

حماد: بلغني أن رجال النائب اقتحموا عليه بيته، واقتادوه إلى نائبهم..

أبو حنيفة: أحقا ما تقول يا ولدي؟

حماد: أجل يا أبتى. وقد بلغني عن ولده أن زجه في السجن

أبو حنيفة: لا حول ولا قوة إلا بالله..

المشهد الرابع

نيابة بغداد، ويظهر النائب وهو ينهض عن كرسیه مستقبلاً أبا حنيفة:

النائب: يامرحباً.. يامرحباً بأبي حنيفة النعمان..

أبو حنيفة: شكر الله لك!

(يتعانقان)

النائب: تفضل واجلس مكاني هنا يا أبا حنيفة..

أبو حنيفة: ما جئت لأجلس مكانك أيها الأمير..

النائب: قد جئت إذن لأمر عظيم.. أعتقد أنه سيثلج



على الرصيف

شعر: أحمد القدومي - فلسطين

مسكيتان على الرصيف أبوهما شيخ ضريّر
والأم ترقد في فراش الموت في الرmq الأخير
وأخ رضيع في العراء يلفه سوء المصير
بيكي ويصرخ عاجزاً ولأمه دوماً يشير
والأم تومئ بالدموع لفلذة الكبد الصغير
والطفلتان تجرعان كؤوس صبرهما المير
تتبادلان الخوف والأشجان والدمع الغزير
تتساءلان وفي التساؤل ما يهزّ وما يثير
من للبنات البائسات النائمات على الحصر
الصابرات الرافعات أكفهنّ إلى القدير
من للطفولة والبراءة.. من يصون ومن يجير
من للطفولة.. من يعيد الأمن للقلب الكسير
ماذا جنينا غير أنّا من أب هرم فقير
أين التراحم يا عباد الله؟ بل أين الضمير؟

صدر الخليفة المنصور..

أبو حنيفة: لا شأن للمنصور فيما جئت من أجله..

أدام الله عزه، ومجده!

النائب: اعذرني يا أبا حنيفة، فقد ذهب بي الظن

إلى أنك قد جئت لتستلم القضاء..

أبو حنيفة: ماجئت لهذا أيها الأمير.. بل جئت

لأخبرك أن رجالك قد اقتادوا جاري،

وأودعوه في سجنك.

النائب: متى حدث هذا؟

أبو حنيفة: قبل ليلتين أو ثلاث ليال.

النائب: أيها الحاجب. أخرج جار أبي حنيفة، وكل

من أخذ معه في تلك الليلة.. إكراماً لأبي

حنيفة..

أبو حنيفة: جزى الله الأمير خيراً..

النائب: يا أبا حنيفة، إني والله لأجلك لعلك الغزير،

ولمكانتك بين العلماء الريانيين، وإني والله

لأخشى عليك أن تزج في السجن، أو تضرب

بالسوط إن لم تغير رأيك، وتستلم القضاء..

أبو حنيفة: السجن والضرب بالسوط أهون علي

من أن أقف بين يدي الله ظالماً لأحد من

عباده..

«يقبل الحاجب والكيال، وما إن يرى الكيال

أبا حنيفة حتى يقبل عليه مسرعاً، فيعانقه ويهم

بتقبيل يديه، لكن أبا حنيفة يسحبهما من بين

يديه..»

أبو حنيفة: هل أضعنك يافتي؟

الكيال: لا والله. بل بررت وأحسنّت، وأيم الله لا

أعود بعد اليوم لعاداتي الذميمة». ■

الهوامش

(١) صحيح سنن النسائي ٧٢٢. وفي مستدرک الحاكم ١/٢٥١

بهذا اللفظ.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح مختصر الإمام مسلم. ٣٢٩.

(٤) صحيح مختصر الإمام مسلم ٣٢٨، و ١/٣٦٢/٥٠٥.

(٥) متفق عليه.